﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود: 116]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبة بين الحثّ على الصّبر، وكون موجبات الهلاك فطريّةً وعقليّةً مفحمة

بيَّن الله تعالى أنَّ الأُممَ المتقدِّمينَ حَلَّ بهم عذابُ الاستئصالِ؛ وبيَّنَ أنَّ السَّببَ فيه أمرانِ؛ السَّببُ الأوَّل: أنَّه ما كان فيهم قومٌ ينهَونَ عنِ الفَسادِ في الأرضِ. والسَّببُ الثّاني: قولُه: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾[1]، وعليه: فقد تكون المناسبة على وجهين:

- لَمّا ذَكَرَ إهْلاكَ القُرونِ الماضيَةِ والأُمَمِ السّالِفَةِ بما مَضى، إلى أنْ خَتَمَ بالأمْرِ بالصَّبْرِ على الإحْسانِ، منَ الأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، كانَ منَ الجائِزِ أنْ يَقَعَ في فِكْرِ الاعْتِراضِ بأنْ يُقالَ: ما الموجِبُ لِذلِكَ؟ فَبَيَّنَ أنَّ سَبَبَ الهَلاكِ الإعْراضُ عن نَهْيِ مُنْتَهِكِ الحُرُماتِ، والمُجْتَرِئِ عَلى هَتْكِ الأسْتارِ الجَليلَةِ، والرَّتْعِ في الحِمى، مَعَ تَمَكُّنِهِم بِما خَلَقَ فيهِم سُبْحانَهُ منَ القوى والقُدْرَةِ على اخْتيارِ جانِبِ الخَيْرِ، والإعْراضِ عن جانِبِ الشَّرِّ[2].

- لَمّا كانَ ما تَقَدَّمَ كُلُّهُ مُشيرًا إلى اسْتِبْعادِ إيمانِ المُعانِدينَ، بِشَيْءٍ من تَدْبيرٍ آدَميٍّ كَما تَكادُ القِصَصُ تَنْطِقُ بِهِ، وكَذا الإعْلامُ بِأنَّ عِبادَتَهم إنَّما هي لِلتَّقْليدِ، وباخْتِلافِ قَوْمِ موسى في كِتابِهِ الَّذي هو هُدًى ورَحْمَةٌ، وكُلُّ ذَلِكَ قَطْعًا عن طَلَبِ ما قد يَهْجِسُ في الخاطِرِ، من تَمَنّي إجابَتِهِم إلى ما يَقْتَرِحونَ، أوِ الكَفِّ عن بَعْضِ ما يَغيظُ منَ الإنْذارِ، وكانَ من طَبْعِ البَشَرِ البُعْدُ عَنِ الانْتِهاءِ عَنِ الخَواطِرِ إلّا بعد

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/409.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/397 - 398.

التَّجْرِبَةِ، كانَ ذَلِكَ رُبَّما أَوْجَب أنْ يُقالَ: لَوْ أُجيبوا إلى سُؤالِهِم لَرُبَّما رَجَعوا عن كَثيرٍ ممّا هم فيهِ، فَدَعاهم ذَلِكَ إلى الرَّشادِ، فَتَسَبَّبَ عنهُ أنْ يُقالَ دَفْعًا لَهُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْقُرُونِ﴾: منَ القَرْن، وهو زَمَنٌ مُعَيَّنٌ، أو أَهْلُ زَمَنٍ مَخْصوصٍ، واخْتارَ بعضهم أنَّه حَقيقَةٌ فيهما، واخْتُلِفَ هل هو منَ الاقْتِرانِ، أي: الأُمَّة المُقْتَرنَة في مُدَّةٍ منَ الزَّمانِ، من قَرْنِ الجَبَلِ، لارْتِفاع سنِّهم، أو غَيْر ذلِكَ. واخْتَلَفوا في مدَّةِ القَرْنِ وتَحْديدِها، فقيل: أرْبعونَ سَنَةً، وفي فتح الباري: اخْتلفوا في تَحْديد مُدَّةِ القَرْنِ من عشرةٍ إلَى مائةٍ وعشرين، لكن لم يُرَ مَنْ صرَّحَ بالتِّسْعين ولا بمائةٍ وعَشَرَة؛ وقالَ ثَعْلَب: هو الاخْتيارُ لقَوْله ﷺ لغُلام بعد أن مَسَحَ رأْسَه: «عِشْ قَرْنًا»[2]، فعاشَ مائَةَ سَنَة[3]. فالقَرْنُ مقْدارُ المُتوسّط من أعْمارِ أهل الزَّمان، مائةٌ أو مائةٌ وعِشْرونَ[4]. وهو كُلُّ أُمَّةٍ هَلَكَتْ فَلم يَبْقَ منْها أحَدٌ[5]، وأهل القرون: أهل عصر واحد أو زمان واحد، أُمَّةٌ أو جماعةٌ تعيش في عصرٍ أو زمانٍ واحد: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: 17]"[6].

2) ﴿بَقِيَّةٍ﴾: (الباءُ والقافُ والياءُ) أصْلٌ واحِدٌ، وهو الدَّوامُ[7]، قال الخَليلُ: اسْتَبْقَيْتُ فُلانًا، وذَلِكَ أنْ تَعْفو عن زَلَلِه فَتَسْتَبْقيَ مَودَّتَهُ[8]. والبقيّة: ما بقي من الشّيء أو من أصوله، وقيل: البقيّة الباقيَة، أي: آخر ما تبقّى. وفي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ﴾ أي: أولو إبْقاءٍ على أنْفُسِهم لتَمَسّكِهم بالدِّين المَرْضي[9].

3) ﴿أُتْرِفُواْ﴾: (التّاءُ والرّاءُ والفاءُ) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، وهيَ التُّرْفَةُ[10]، والتُّرْفَةُ: النَّعْمَةُ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/397 - 398.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم: (8524)، بلفظ: «يعيش هذا الغلام قرنًا»، وذكره الهيثميّ في مجمع الزوائد، برقم: (16119).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (قرن).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (قرن).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (قرن).
(6) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: 3/305.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بقي).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بقي).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (بقي).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ترف).

والتَّتْريفُ: حُسْنُ الغِذاء، وصبيٌّ مُتْرَفٌ: إذا كانَ مُنَعَّمَ البدنِ مُدَلَّلًا، والمُتْرَفُ: الَّذي قَدْ أَبْطَرَتْه النّعمةُ وسَعةُ العيْشِ. وأَتْرَفَتْه النَّعْمةُ، أي: أَطْغَتْه، والمُتْرَفُ: المُتَنَعِّمُ المُتَوسِّعُ في مَلاذِّ الدُّنيا وشَهواتِها[1]، والتّرف: إشباع حاجة غير ضروريَّة، وهي صفة مشبَّهة تدلّ على الثّبوت، من ترِفَ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـنّـاجـون في كـلّ زمـان، هم أتـبـاع الأنبـياء ومـتّـبـعـوهـم بإحسان

بعد أن ذكر عاقبةَ الأمم المكذّبة لرسلها في الدّنيا والآخرة، وإنذارَ قومه ﷺ بهم، وبيّن ما يجب عليه وعلى مَن آمن به وتاب معه، منَ الاستقامة والصّلاح واجتنابِ أهلِ الظُّلم والفساد[3]، ساق السُّنَنَ العامّة في إهلاك الأُمم الذين قَصَّ اللّه قصصهم، وأمثالِهم ممّن عَصَوا رُسلَ ربِّهم، بعدَ أن أنذروهم عقابَه، ووعدوهم إذا أطاعوهم ثوابَه[4]. ومعنى الآية: فَهلّا كان منَ القرون التي أهلكناهم من قبلكم أولوا تمييزٍ وطاعةٍ وخير ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ممّن آمن في الأُمم الماضية، وهم أتباعُ الأنبياء، كانوا ينهَون عنِ الفساد في الأرض، واتَّبعَ الذين ظلموا أنفسَهم بالكفر والمعاصي ما تَنعَّموا فيه، وكانوا كافرين[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة فاء التَّفريع:

الدّلالة بتفصيل المجمل، وتعليل أحكامه، وإيراد أبـدَعِ أساليبِ الإعجازِ

الإتيانُ بفاءِ التَّفريع؛ لأنَّه في موقعِ التَّفصيلِ والتَّعليلِ لجُملةِ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ وما عُطِف عليها، كأنَّه قيل: (وإنَّ كُلًّا لَمّا ليوفّينَّهم ربُّك أعمالَهم؛ فلَولا كان منهم بَقيَّةٌ ينهَوْن عنِ الفسادِ في الأرضِ) إلى آخرِه، أي: فاحْذَروا أن تَكونوا كما كانوا، فيُصيبَكم

(1) ابن منظور، لسان العرب: (ترف).
(2) أحمد مختار، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: 1/290.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/96.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/96.
(5) الخازن، لباب التأويل: 3/258.

ما أصابَهم، وكونوا مُستَقيمين ولا تَطْغَوا، ولا تَرْكَنوا إلى الظّالمين، وأقيموا الصَّلاةَ، فغيَّر نَظْمَ الكلام إلى هذا الأسلوبِ الَّذي في الآيةِ؛ لِتَفنُّنِ فَوائدِه ودَقائقِه، واستقلالِ أغراضِه، مع كونِها آيِلَةً إلى غرَضٍ يَعُمُّها، وهذا من أبدَعِ أساليبِ الإعجازِ، الَّذي هو كَرَدِّ العَجُزِ على الصَّدرِ من غَيرِ تكلُّفٍ، ولا ظُهورِ قَصدٍ عليها[1].

دلالة (لولا) على التّحضيض:

تحضيض الفائت لمقصد التّحذير والاتّعاظ

(لَوْلا) حَرْفُ تَحْضيضٍ بِمَعْنَى (هَلّا)، وتَحْضيضُ الفائتِ لا يُقْصَدُ منْهُ إلّا تَحْذيرُ غَيْرِهِ من أنْ يَقَعَ فيما وقَعوا فيهِ، والعِبْرَةُ بِما أصابَهُمْ[2]، وقد حَكَوا عنِ الخليل: "كلُّ (لولا) في القرآن فمعناها (هَلّا) إلّا التي في الصّافات"[3]. وقيل: ما صَحَّتْ هذه الحكايةُ؛ ففي غير الصّافات: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [القلم: 49]، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: 25]، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 74][4]. فلولا تَحْضيضٌ، صَحِبَها مَعْنَى التَّفَجُّعِ والتَّأسُّفِ، الَّذي يَنْبَغي أنْ يَقَعَ منَ البَشَرِ عَلَى هَذِهِ الأُمَمِ الَّتي لَم تَهْتَدِ[5].

والحاصل: أنّه قد يقال: (لولا) شرطيّةٌ، حرف امتناع لوجود، وجوابُها محذوف، تقديره مثلًا: لاستقامت أمورُهم، ولاستجابوا لدعوة الحقّ إذا دُعوا إليها، أو هي بمعنى (هَلّا) للتّحريض على أن يكون منهم فضلاءُ لنجاتهم، ولكن كيف يقال: إنّ ثمّة تحريضًا، وقد مَضَوا بما كان منهم، والتّحريضُ للحاضرين لا للغابرين؟ والجواب عن ذلك: أنّ القصّة الصّادقة تُصَوِّرهم حاضرين، ويكونُ التّحريضُ لهم على التّصوير، وللقائمين ليتّعظوا، ويعتبروا[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/183.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/183.
(3) الطيبيّ، فتوح الغيب: 8/226. وآية الصافات: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣﴾ [الصّافات: 143].
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/436.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/224.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3770.

فائدة إيثار فعل الكينونة ماضيًا:

سوق ما يدلّ على التّحقّق والانقضاء من الصّيغ

في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾، آثر البيان القرآنيُّ فعلَ الكينونة الماضية على غيره؛ للدَّلالَةِ عَلَى المُضيِّ والانْقِضاءِ[1].

معنى ﴿مِنَ﴾، ودلالة تكرارها:

تفاؤل الشَّرع بالخير، وإن قلَّ

تكرّرت ﴿مِنَ﴾ مرتين في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، ومعنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ زائدة أو ابتدائيّة، و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ تبعيضيّة، والمعنى: هلّا وُجِدَ بقيَّةٌ ناهون عنِ الفساد حالَ كونهم ممّن قبلَكم[2].

دلالة القبليَّة وتعريفها:

إضافة التَّقصير إلى مَن سبق، يومئ إلى تبشير مَن لَحِق

سيقت القَبْليّة إلى القِلّة الخَيّرة إن وُجِدت[3]، وقد تُلَوِّح إلى البِشارَةِ مفهومًا إلى مَن يأتي بعدَهم، فلا يَكونونَ كَما كان مَنْ قبلَهم.

بلاغة الإطناب:

تفصيل المباني بعد إجمالها، للتّخبير عنِ المعنى المراد

قولُه: ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، وردتِ الجملةُ تفصيلًا بعدَ الإجمال؛ فالمعنى إذا أُلقيَ على سبيل الإجمال والإبهام تَشَوَّفَ السّامعُ إلى معرفته على سبيل التَّفصيل والإيضاح، ولِأَجْلِ هذا المَعْنَى أُتيَ بِفاءِ التَّفْريع؛ لِأَنَّهُ في مَوْقِعِ التَّفْصيلِ والتَّعْليلِ لِجُمْلَةِ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾.

ولـمّا كان المرادُ القرونَ التي تقدَّم ذِكْر إهلاكِها، وكانت أزمنتُهم بعضَ الزَّمان الماضي، أتى بالجارّ، فقال: ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[4].

سرُّ تقديم شِبهي الجُملَتين:

تقديمُ ما أصْلُه التَّأخير لمقصد

تقدَّم شبها الجملتين في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾؛ للدّلالة على تأكيد النَّفي وتثبيتِه، أي: ما كان فيهم ذلك[5].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/298.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/234.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/84.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/398.
(5) المحلّيّ والسّيوطيّ، تفسير الجلالين، ص: 301.

إيثار استعمال ﴿أُوْلُواْ﴾:

آثر البيان القرآنيُّ استعمالَ ﴿أُوْلُواْ﴾، دونَ أصحاب، أو ذوي؛ لكونها تدلّ على شِدّة المصاحبة، ولا تُستَعمَل إلّا فيما كان متعلّقها مُتَّصِلًا؛ جزءًا، أو عُضوًا، أو صِفةً، أو حالةً، أو عملًا لازمًا، أو شأنًا من شؤون الشّخص، أو مثلها، بخلاف كلمة: ذوو، فانّها أعمّ استعمالًا[1].

دلالة الارتباط تُحرّض على منطق أولي الألباب

وعليه: فإنّ الأنسب في الدّلالة على البقيّة المتبقية من أهل الفضل، استعمالُ ﴿أُوْلُواْ﴾؛ لأنّ بَقيَّة الشَّرائِع والدُّول ونَحْوِها، قوَّتُها في أوَّلِها، ثُمَّ لا تَزالُ تَضْعُفُ، فَمَنْ ثَبَتَ في وقْتِ الضَّعْفِ فَهو بَقيَّةُ الصَّدْرِ الأوَّلِ[2]، تشدُّ عليه وتصاحبُه.

إيثار لفظ (البقيّة) ودلالته:

البَقيَّةُ كِنايَةٌ غَلَبَتْ، فَسارَتْ مَسْرى الأمْثالِ؛ لِأنَّ شَأْنَ الشَّيْءِ النَّفيسِ أنَّ صاحِبَهُ لا يُفَرِّطُ فيهِ[3]؛ لأنَّ مادّة (بقي) تدور على الجمع الذي من لوازمه: القوّةُ، والثَّباتُ، والحِفْظُ، والخيرُ، والجَوْدَةُ[4]. والبقيَّة فعيلة، بمعنى: الباقية، على التّأنيث بتقدير الموصوف المؤنّث، وهو الخَصْلَة إن كان المرادُ الرَّأيَ، أو القوّةُ إن كان المرادُ العقلَ، وإن كان المرادُ بهما واحدًا - كما هو الظّاهر بناءً على أنّ العقل يُرادُ به الإدراكُ دونَ القوّة - فالموصوف هو الخَصْلَة. والتَّعبير بها دونَ الباقيَة ليَدُلَّ على الثُّبوت[5].

سعةُ لفظِ البقيَّة، من حيث معانيه في الجملة

بيان أنَّ البَقيَّةَ كِنايَةٌ:

سُمّي الفضلُ والجودُ بقيَّةً؛ لأنَّ الرَّجل يستبقي ممّا يُخْرِجه أجودَهُ وأفضلَهُ، فصار مثلًا في الجَوْدة والفضل[6]، وأُطْلِقَ على الفضل

بلاغة الكناية والاستعارة في تسمية الفضل والجود بقيَّة، تُحْرِزُ لنفاستها

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: 1/197.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/224.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/224.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/399.
(5) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/233.
(6) الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/84.

(بقيّة) استعارةً منَ البقيَّة التي يَصطفيها المرءُ لنفسه، ويدَّخِرُها ممّا ينفقُه، فإنَّه يفعل ذلك بأنفَسِها[1]، والبَقيَّةُ كِنايَةٌ غَلَبَتْ، فَسارَتْ مَسْرَى الأمْثالِ؛ لِأنَّ شَأْنَ الشَّيْءِ النَّفيسِ أنَّ صاحِبَهُ لا يُفَرِّطُ فيهِ[2].

التّعبير عن فعل النّهي مضارعًا:

تـجـدُّدُ الـنّـهـي لِتَجَدُّد الفسادِ في الأرض

إيرادُ النّهي بصيغة المضارع للدّلالة على أنّهم يُجَدِّدونَ النَّهْيَ في كُلِّ حينٍ، إشارَةً إلى كَثْرَةِ المُفْسِدينَ[3]، الذين يحتاجون إلى تَكرار النَّهي وتَجدُّدِه كلّما اقتضت ذلك دواعيه، فالمصلحُ مَن يصلِحُ ما فَسَد على تَعَدُّد الأزمنةِ والأمكنةِ والأشخاصِ.

دلالة ﴿عَنِ﴾ في السّياق:

نفيُ حقيقةِ النّهي عـنِ الـفـسـاد، عمّن ادّعاه

في تَحْضيضِهم على النَّهْيِ عنِ الفَسادِ، دلالةٌ على مَعْنى نَفْيِهِ عنهم.

إيثار لفظ ﴿ٱلْفَسَادِ﴾ معرَّفًا:

تعليق الفساد بـ (أل)، للدّلالة على جزئيّاته

آثر البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿ٱلْفَسَادِ﴾ لإفادة العموم؛ لأنّ الفسادَ يشمَل الكفرَ، والشِّركَ، وإثارةَ الفتنِ، والقتلَ، والصّدَّ عن سبيل اللّه، وغيرَه[4].

وجه تخصيص الفساد ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

تعليق الفساد فـــي الأرض، لـلـدّلالـة على تعميم الأمكنة

وجه تخصيص الفساد في الأرْضِ، المَقْصودُ منْهُ تَعْميمُ أماكِنِ الفَسادِ نهيًا عنه[5].

توجيه الاستثناء:

استثناءُ البقيَّة بـيـنَ الانـقـطـاع والاتّصال

قوله ﷻ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ اسْتِثْناءٌ، وفيه قال المفسّرون البلاغيّون: إنّ الاستثناء منقطع منْ ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾، وهو يَسْتَتْبِعُ الِاسْتِثْناءَ منَ القُرونِ؛ إذِ القُرونُ الَّذينَ فيهِم أولو بَقيَّةٍ لَيْسوا

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/139.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/183.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/399.
(4) محمد الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 12/111.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/138.

داخِلينَ في حُكْم القُرونِ المَذْكورَةِ من قَبْلُ، وهو في معنى الاسْتِدْراكِ، بمعنى (لكن)؛ لأنَّ معنى التَّحْضيضِ مُتَوجِّهٌ إلى القُرونِ الذين لَم يكن فيهم أولو بَقيَّةٍ، فهم الذين يُنْعى عليهم فُقْدانُ ذلك الصِّنْفِ منهم، وهَؤُلاءِ القُرونُ ليس منهم مَن يُسْتَثْنَى، إذْ كُلُّهُم غير ناجينَ منْ عَواقِبِ الفَسادِ، ولَكِنْ لَمّا كانَ معنى التَّحْضيضِ قَدْ يوهِمُ أنَّ جَميعَ القُرونِ الَّتي كانَتْ قَبْلَ المُسْلِمينَ قَدْ عَدِموا أولي بَقيَّةٍ، مَعَ أنَّ بَعْضَ القُرونِ فيهم أولو بَقيَّةٍ، كانَ الموقَّعُ لِلاسْتِدْراكِ؛ لِرَفْعِ هَذا الإيهامِ، فَصارَ المُسْتَثْنَى غير داخِلٍ في المَذْكورِ منْ قَبْلُ، فَلِذَلِكَ كانَ مُنْقَطِعًا، وعَلامَةُ انْقِطاعِهِ انْتِصابُهُ، لِأنَّ نَصْبَ المُسْتَثْنَى بعد النَّفْيِ إذا كانَ المُسْتَثْنَى منْهُ غَيْرَ مَنْصوبٍ أمارَة على اعْتِبارِ الانْقِطاعِ، إذْ هو الأفْصَحُ. وهَلْ يَجيءُ أفْصَحُ كَلامٍ إلّا عَلَى أفْصَحِ إعْرابٍ، ولو كان مُعْتبرًا اتِّصالَهُ لَجاءَ مرفوعًا على البدليَّةِ منَ المذْكورِ قَبْلَهُ[1].

والقول الثّاني: أن يكونَ متّصلًا، وذلك بأن يُؤَوَّل التَّحضيضُ بمعنى النّفي، فيصحَّ ذلك، إلّا أنّه يؤدّي إلى النّصب في غير الموجَب، وإن كان غيرُ النّصب أولى[2]. لكنّ العلماء على ترجيح الانقطاع، كما مضى ذكرُه وتعليلُه في القول الأوّل.

دلالة (من) في ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾:

(من) الأولى بيانيّةٌ، و (من) في ﴿مِنْهُمْ﴾ تبعيضيَّةٌ[3]، فـ (من) في ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ حَقُّها أن تكون للبيان لا للتّبعيض؛ وذلك أنَّ البيان والمبيّن شيءٌ واحد، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحجّ: 30]، فالقليلُ إذن هم النّاجون، ولهذا عُلِّلَ بأنّ النّجاة إنّما هي للنّاهين وحْدَهم، أي: دونَ غيرِهم، وأمّا إذا حُمل (من) على

دلالـــة (مـــن) التّبعضيّة أو البيانيّة، على النّاجين في الآية

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/225، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3771، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/184.

(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/424.

(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3771.

التّبعيض، كان ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ بدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾، فيلزَمُ أن يكون النّاهون بعضَ النّاجين، وهو فاسدٌ[1].

نُكْتَةُ تعديَة فعلِ النَّجاة بالهمزة:

التَّعجيل بإنجاء الصّفوة، جري على سُنَن الله في ذلك

(نجى) تُستعمَل للتّمهُّل والتَّلبُّث في التَّنجيَة، أمّا (أنجى) فَلِلإسراع، من أجل ذلك آثر البيان القرآنيُّ ﴿أَنجَيْنَا﴾ دون (نجّينا)؛ لأنَّه الدّالُّ على الخير، الحاملُ للنَّهي عنِ الفساد، دون التَّنجيَةِ الدّالَّةِ على التَّدريج والإبلاغ في الإنجاء؛ فلو عَبّر بها فَسَدَ المعنى[2].

وجه إسناد الفعل إلى ضمير التَّعظيم:

تعليق تحقّق الإنجاء، بنون العَظَمَة التّامّة

أُسنِدَ فعلُ الإنجاء إلى الضّمير (نا)، المُشْعِرة بالتّعظيم التّامّ؛ تفخيمًا لمقام الرُّبوبيَّة، المُؤذِنِ بتحَقُّقِ الفعل، وممّا زاد في معنى الشُّموخ استعمالُ الألفِ في مفردة ﴿أَنجَيْنَا﴾.

فائدة توسيط شبه الجملة ﴿مِنْهُمْ﴾:

النّهي عنِ الفساد، دَيْدَن قِلّةِ القِلّة

في قوله تعالى: ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، توسّطت ﴿مِنْهُمْ﴾ للدّلالة على أنَّ قَليلًا ممَّنْ أنْجَيْنا منهم، نَهَوْا عَنِ الفَسادِ، وهم قَليلٌ بِالإضافَةِ إلى جَماعاتِهِمْ[3].

توجيه العطف بالواو:

بلاغة العطف في التّصريح بمَفْهوم الاسْتِثْناء، وتَبْيينٍ لإجْمالِهِ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾، للعَطْف. وبيان ذلك: أنَّ جُمْلَةَ ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مَعْطوفَةٌ على ما أفادهُ الاسْتِثْناءُ من وُجودِ قَليلٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ، فَهو تَصْريحٌ بِمَفْهوم الاسْتِثْناءِ وتَبْيينٌ لِإجْمالِه. والمَعْنَى: وأكْثَرُهُم لَم يَنْهَوْا عَنِ الفَسادِ، ولَم يَنْتَهوا هُم ولا قَوْمُهُم، واتَّبَعوا ما أُتْرِفوا فيه، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البَقَرَة: 34]، تَفْصيلًا

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/228.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/399.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/225.

لِمَفْهوم الاسْتِثْناءِ[1]. وإن كان معناهُ: واتَّبَعوا جَزاءَ الإتْرافِ. فالواو للحال، كَأَنَّهُ قيلَ: أنْجَيْنا القَليلَ، وقدِ اتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَموا جَزاءَهُمْ[2].

دلالة الاستئناف في الآية الكريمة:

إعـادة التّذكير بجرائم الظّالمين، بقصد البيان والاعتبار

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، "اسْتِئْنافُ إخْبارٍ عن حالِ هَؤُلاءِ الَّذينَ ظَلَموا، وإخْبارٌ عنهُم أنَّهُم مَعَ كَوْنِهِم تارِكي النَّهْيِ عَنِ الفَسادِ، كانوا مُجْرِمينَ، أي: ذَوي جَرائِمَ غَيْرِ ذَلِكَ"[3].

سرُّ مجيء فعلِ الاتِّباعِ ماضيًا:

التّعبير بالماضي للدّلالة على تحقُّق وقوعِ الفعل

استعمال الفعل ماضيًا على معهود القرآن الكريم في أخباره؛ للدّلالة على تَحَقّق وقوعِ الفعل، فهُم بالفعل قدِ اتَّبعوا ما أُتْرِفوا فيه.

نُكْتَةُ العدولِ في ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾:

قوله ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: الذين وقع منهم الظُّلْم؛ وإن لم يتّصِفوا بالظّالمين، وإذا كان النَّهيُ عن مساندة الّذين وقع منهم الظُّلم، فأولى بالنَّهي أن يكون الظُّلم ممّن هو عادته وسياستُه المستمرّة[4]. وفُشوُّ الظُّلْم مستفادٌ منَ التَّعبير بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[5].

القصدُ إلى تحريم الظُّلم، بَلْهَ التَّلبُّس به

دلالة ﴿مَآ﴾ في سياق الآية:

دلالة (ما) على اتّباع الإترافِ

"﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾، مَصْدَرِيَّةٌ، ولهذا قَدَّرَهُ: اتَّبَعوا الإتْرافَ، والظّاهِرُ أنَّها بِمَعْنَى (الَّذي) لِعَوْدِ الضَّميرِ في فيهِ عليها"[6].

إيثار لفظ (الإتراف) دون غيره:

إيثار ما يدلّ على مجاوزة الحدّ في التَّنَعُّم

آثر البيانُ القرآنيّ لفظَ الإتراف دون غيره: كـ(نُعِّموا) مثلًا؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/185.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/225.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/225.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3763.
(5) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/235.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/225.

لدلالته على المبالغة في التَّنعُّم ومُجاوزةِ حدِّ الاعتدال في التعامُل مع النِّعَم، على وجهٍ يورث طغيانًا وبَطَرًا[1].

سرّ التّعبير عنِ الإتراف مبنيًّا للمفعول:

التّعبيرُ عنِ الإتراف بالماضي الجمعيّ، للدّلالة على عموم التّحقُّق

لمّا كان المُبْطِرُ لهم نفسَ التَّرفِ، بُنِيَ للمفعول قولُه: ﴿أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾، فأبطرتهمُ النّعْمَةُ حتّى طَغَوا وتجبّروا[2].

دلالة شبه الجملة ﴿فِيهِ﴾:

العواقب بحسب الانغماس في الإجرام

في قوله: ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ يرجع الضّمير إلى الذين اتَّبَعوا الإتْرافَ، أي: عاقِبَة ما نُعِّموا بِهِ، على بِناءِ الفِعْلِ لِلْمَفْعولِ.

بلاغة عطف جملة الفاصلة بالواو:

المجرم مغمور بشهواته وآثامه

قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾، فعُطِفَ عَلى: ﴿أُتْرِفُواْ﴾، أي: اتَّبَعوا الإتْرافَ، وكانوا مُجْرِمينَ، لِأنَّ تابِعَ الشَّهَواتِ مَغْمورٌ بِالآثام. وأجازَ بعضهم أيْضًا أنْ يَكونَ مَعْطوفًا عَلى ﴿وَٱتُّبِعَ﴾، أي: اتَّبَعوا شَهَواتِهِم وكانوا مُجْرِمينَ بِذَلِكَ. وقيل: يَجوزُ أنْ يَكونَ اعْتِراضًا وحُكْمًا عليهم بِأنَّهم قَوْمٌ مُجْرِمونَ[3].

سرُّ التَّعبير بفعل الكينونة ماضيًا مجموعًا:

القصدُ إلى تأكيد وصْفِ الإجرام، بما يَدُلّ على الملازمة، وعدم الانفكاك

سيق التَّعبير بفعل الكينونة ماضيًا لاستمرارهم في ماضيهم، مُتَجَمِّعين على الإجرام، حتّى صار الإجرامُ وصفًا ملازمًا لهم[4]، فجاء البيانُ بالاسم ليَدُلَّ على ثبات هذا الوصفِ فيهم.

بلاغة الإيجاز بالحذف:

الدّلالة على استحقاق الهلاك إيجازًا

في قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾، إيجازُ حَذْفٍ، تَّقْديرُه: فَحَقَّ عليهم هَلاكُ المُجْرِمينَ، وبِذَلِكَ تَهَيَّأ المَقامُ لقوله بعده: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾[5].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/772.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/400.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/225.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3772.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/186.

علّة مجيء لفظة ﴿مُجۡرِمِينَ﴾ مجموعًا:

الانتقال إلى اسم الفاعل الجمعيّ، للدّلالة على الاشتراك في التّوصيف

سيق الإجرامُ بصيغة اسم الفاعل المجموع؛ لاتّصافهم بما لازمَهم منَ الإجرام مُتَجَمِّعين عليه[1]؛ فكَوْنُهم مُجْرِمينَ؛ لِأنَّ تابِعَ الشَّهَواتِ مَغْمورٌ بِالآثام، أو أُريدَ بِالإجْرام إغْفالُهم لِلشُّكْرِ، أو على ﴿وَٱتَّبَعَ﴾ أي: اتَّبَعوا شَهَواتِهم، وكانوا بِذَلِكَ الِاتِّباعِ مُجْرِمينَ، ويَجوزُ أنْ يَكونَ اعْتِراضًا وتَسْجيلًا عَلَيْهِم بِأنَّهم قَوْمٌ مُجْرِمونَ[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/400.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/247.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»